

تاريخ القبول: 2025/10/09

تاريخ الإرسال: 2025/02/02

تاريخ النشر: 2025/11/30

المغرب القديم في الصراع الروماني القرطاجي (264 - 146 ق.م.)
Ancient Maghreb in the Roman-Carthaginian
conflict (264 - 146 BC)

صبيحة أوكيل

s.oukil@lagh-univ.dz

جامعة عمار تليجي - الاغواط -

الملخص:

يتحدث المقال عن انعكاسات الصراع القرطاجي الروماني (264-146 ق.م.) على المغرب، فمن جهة كانت أراضيهم مسرحاً للأحداث؛ مثل حملة "ريغولوس" و"مانيلوس" في الحرب الأولى (264-241 ق.م.)، وكذا معركتي السهول الكبرى وزاما في الحرب الثانية (218-201 ق.م.)، والحرب الثالثة (149-146 ق.م.) التي حاصرت فيها روما قرطاجة وقضت عليها في وقت وجيز، ومن جهة أخرى تأثيرات هذه الحروب على المنطقة مثل التمردات النوميدية على قرطاجة التي ردت بالتوسع على حساب أراضي النوميديين، وانحياز الملوك النوميديين لأحد طرفي الصراع مثل ماسينيسا وسيفاكس اللذين ساهما في تغيير موازين القوى، بالإضافة الى الخسائر التي تكبدتها قرطاجة والمنطقة بصفة عامة.

الكلمات المفتاحية: نوميديا، روما، قرطاجة، البونيقية، ماسينيسا.

Abstract:

The article talks about the repercussions of the Roman Carthaginian conflict (264 - 146 BC) on The Maghreb. On the one hand, its lands were the scene of events; In the campaign of Regulus and Manilas in the first war (264-241 BC), as well as in the two battles of the Great Plains and Zama in the second war (218-201 BC), and the third war (149-146 BC) in which Rome

besieged and eliminated Carthage In a short while, and on the other hand, the effects of these wars on the region such as the Numidian rebellions against Carthage, which responded by expanding at the expense of the Numidian lands, and the siding of the Numidian kings to one of the two sides of the conflict, such as Massinissa and Syphax, who contributed to changing the balance of power, in addition to the losses incurred by Carthage and the region in general.

Keywords: Numidia, Rome, Carthage, Punic, Masinissa.

المؤلف المرسل: صبيحة أوكيل، الإيميل: S.OUKIL@LAGH-UNIV.DZ

1. مقدمة:

في الوقت الذي مالت فيه الكفة لصالح قرطاجة في صقلية التي أخضعها كلها تقريبا ووضعت حامية لها في "ميسنا" (Messina)، كانت روما قد بسطت سيطرتها على كل شبه الجزيرة الإيطالية (إغريقيا العظمى)، وباتت القوتان قاب قوسين من بعضهما لا يفصل بينهما الا المضيق، وأخذ الحذر يشوب تحركات الطرفين وأصبحت صقلية تشكل محيطا أمنيا بالنسبة لقرطاجة كما هو الحال بالنسبة لروما، والاكثر من ذلك أنها باتت تمثل منطقة أطماع لروما، التي وجدت الفرصة بتمرد سكان "ميسنا" في 264 ق.م على القرطاجيين واستعانتهم بها فكانت بداية الحروب البونيقية (264-146 ق.م) التي مرت بثلاث مراحل انتهت بدمار قرطاجة، والاشكالية المطروحة: ماهي تداعيات الصراع الروماني القرطاجي على المغرب؟

2. النوميديون مجندين في الجيش القرطاجي:

غيرت قرطاجة طريقة تجنيدها للجيش منذ مطلع القرن الرابع قبل الميلاد، بعد ان فقدت فيلقا من نبلائها في معركة بصقلية، لذلك امتنعت عن تجنيد المواطنين في الجيوش القرطاجية في ما وراء البحر¹، وباتت تعتمد على جنسيات مختلفة في الجيش، ومن بين هذه الشعوب نذكر النوميديين الذين كانوا يجندون كمرتزقة وكرعايا وحلفاء² وسنفصل في كل شكل فيما يأتي:

1.2. المرتزقة (Les Mercenaires): وهم المجندين المرتبطين بعقد عمل مع قرطاجة وينتهي عقدهم بنهاية الحرب التي انخرطوا من أجلها، وكانوا يجلبون كذلك من كل مناطق الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ويتدربون على يد قائد يحارب في الأرض المجاورة أو في نفس المنطقة التي ينتمون لها، مع موافقة السلطات المحلية على ذلك.³

2.2. الرعايا (Les Sujets): وهم المولودين في المناطق القريبة من العاصمة أو في التراب الذي تملكه قرطاجة، وكان تجنيدهم يتم كضريبة⁴، وقد طبق عليهم صرامة في التجنيد، وعرفوا بالقوة والرشاقة وشدة التحمل.⁵

3.2. الحلفاء (Les Alliés): وهم الذين يقدمهم امراءهم الحلفاء بصفة رسمية وإن كان جلهم من الاتباع، وكانوا يحصلون على الجراية المالية كإعانات مالية تختلف من منطقة لأخرى⁶، وقد جاء ذكر عدة تحالفات مع قرطاجة مثل التعزيزات التي تلقتها قرطاجة من "الليبيين" بعد أن نقل "اغاثوكليس"⁷ الحرب إلى شمال إفريقيا⁸، كما استتجد "هملكار"⁹ القرطاجي ببعض الأمراء النوميديين لإخماد ثورة النوميديين والمرتزقة التي اعقت الحرب البونية الأولى (264-241 ق.م)، منهم أحد أفراد البيت الماسيلي "نارافاس" (Naravas)¹⁰ الذي كان يسيطر على الأراضي المجاورة لأراضي قرطاجة¹¹.

وقد عُرف النوميديون في الجيش القرطاجي ببراعتهم في امتطاء الحصنة السريعة، وقد كان لهم دورا هاما في جيش "حنبعل"¹² ووصل عدد الفرسان النوميدي إلى ربع القوات¹³، ويؤكد ذلك أن أهم العناصر في الجيش القرطاجي كانت تأتي من نوميديا، وكان المشاة الليبيون يمثلون العمود الفقري للقوات في اسبانيا¹⁴.

3. الملوك والتحالفات مع طرفي الصراع:

حاولت قرطاجة كسب ودّ الملوك المحليين من أجل التفرغ لحربها ضد روما، كما لجأت هذه الأخيرة للتحالف مع القوى المجاورة لقرطاجة لتأمين الجبهة في الداخل، ومن هذه التحالفات نذكر:

1.3. هملكار ونارافاس النوميدي:

بعد انهزام قرطاجة في الحرب البونيقية الاولى وخسارتها لصقلية، ثار الجند المرتزقة عليها لأنها لم تستطع دفع أجورهم، كما ثار النوميديون واجتمعوا تحت لواء القائدين "ماتو" (Matho)¹⁵ وسبنديوس (Spendius)¹⁶، وقد استجد "هملكار" ببعض الأمراء النوميديين للسيطرة على الموقف العسكري بالبلاد وإخماد ثورة النوميديين والمرتزقة (241-237 ق.م)، منهم أحد الأمراء الماسيل "نارافاس"¹⁷.

ويذكر "بوليبوس" أن "هملكار" وعد "نارافاس" بتزويجه من ابنته مقابل وفاءه لقرطاجة، لذلك زوّدها بـ2000 من الفرسان¹⁸، ويعقب محمد العربي عقون على قضية المصاهرة بأنها تدخل ضمن الصفقات التجارية التي كان يبرمها حكام قرطاجة لضمان نفوذهم في المملكة النوميديّة، صف الى ذلك الفائدة الكبيرة التي عادت على "هملكار" من تحالفه مع "نارافاس" الذي بات الساعد القوي لـ"هملكار"، فلا ريب أن الانتصار حُسم بعد التحاق "نارافاس" بالمعسكر القرطاجي، فقد انهزم الثائرون تاركين روائهم 10000 قتيل و4000 أسير، واسترجع "هملكار" تفوقه في المعارك ضد المرتزقة¹⁹.

2.3. الملك النوميدي غايا وقرطاجة:

عرفت العلاقات القرطاجية النوميديّة اضطرابات بحكم خلافات الجوار؛ فملك نوميديا الشرقية "غايا" (Gaya) أعلن الحرب على قرطاجة عام 220 ق.م، وكانت هجوماته عليها ساحقة، ولأنها كانت تحضّر لحربها في إسبانيا لم يكن بمقدورها فتح جبهة جديدة للصراع فرضخت لمطالب نوميديا الشرقية وتحالفت مع "غايا" على حسن الجوار²⁰، وحافظ على ذلك التحالف الى غاية وفاته في 207 ق.م، وقد قدّم المساعدات لها في حربها في شبه الجزيرة الايبيرية في 212 ق.م، حيث أوفد لها المؤونة والفرق العسكرية التي كانت تحت قيادة ابنه²¹ "ماسينيسا"²².

3.3. "ماسينيسا" وقرطاجة:

كانت جبهة القتال في كل من إسبانيا وإيطاليا في البداية لصالح "حنبل"²³، وكان للنوميديين دور بارز فيها، فقد حارب "ماسينيسا" إلى جانب قرطاجة في إسبانيا منذ 212 ق.م²⁴، ولكنه شاهد انقلاب الكفة لصالح الرومان بعد

توالي هزائم قرطاجة في إسبانيا فيما بعد، ففكر في التخلي عنها ومحالفة الرومان عقب معركة "بيقولا" (Baecula) وبدأ "سكيبو"²⁵ في استمالة "ماسينيسا" بإقداحه على إطلاق سراح ابن أخيه "مسيوا" (Massiva)²⁶، وقد تزامنت كل هذه الأحداث مع مشكلة وراثة العرش النوميدي التي سأتي على ذكرها لاحقاً.

4.3. "سيفاكس"²⁷ وروما:

في الوقت الذي خاض فيه "هملكار" حملته على إسبانيا لإخضاع سكانها، كانت روما في نفس الوقت تفكر في استمالة الملك "سيفاكس" لأنها كانت تهدف إلى تأمين خط الرجعة أمام الجيوش القرطاجية وحماية ظهرها، وضمن إمدادها من أقرب الطرق، وذلك لا يتأتى إلا من خلال مملكة "سيفاكس"²⁸ كما أن روما أرادت الاستفادة من الخلاف الذي كان بين الممالك وبين قرطاجة فعملت على استمالاته ونجحت في ذلك فحالف سيفاكس روما في 213 ق.م، وفي المقابل اشترط عليها إرسال قادة عسكريين ليدربوا النوميديين على أساليب القتال²⁹، وبذلك قاد "سيفاكس" جيشاً إلى إسبانيا ليشترك في الحرب الدائرة هناك إلى جانب الرومان³⁰.

غير أن تحالف "سيفاكس" مع روما لم يدم طويلاً بزواجه من الملكة القرطاجية "صوفونيزبة" (Sohponisbe) ابنة "صدر بعل بن جيسكون"³¹، التي قيل أنها أثرت في مواقف زوجها وتمكنت من استمالاته إلى جانب قرطاجة، وقد ظهر نشاطه العسكري ميدانياً في نوميديا إثر وفاة الملك "غايا"³².

5.3. "سيفاكس" ومؤتمر "سيقا" (206 ق.م):

أقام "سيفاكس" مؤتمر "سيقا" (Siga) (على وادي التافنة) كمحاولة منه للتقريب بين القرطاجيين والرومان وإيجاد حل دون خوض الحرب، وحضره "سكيبو" و"صدر بعل"، وتفاوض الثلاثة في شؤون إنهاء العداوة والحرب الدائرة بين روما وقرطاجة، ولكن "سكيبو" صرح بأنه لا يكن عداوة شخصية لـ"صدر بعل"، ولكنه لا يمكنه الرد لأن القضية من صلاحيات مجلس الشيوخ الروماني، ولم يصل الأطراف إلى حل، ولكن "سيفاكس" أدرك خطورة الحرب على المغرب³³.

بعد لقاء "سيفا" قام "صدر بعل" بزيارة ثانية للملك "سيفاكس" وتمكن من كسبه الى جانب قرطاجة، وزوجه من ابنته، وتحالف معه على الصداقة والعداء المشترك، ويذكر "تيت ليف" أن "سيفاكس" قد ضرب تحالفه مع "سكيبو" عرض الحائط، وقد أرسل "سيفاكس" الى "سكيبو" في صقلية يحذّره أنه في حال نقل الجيش الى افريقيا فإنه سيدافع على افريقيا الى جانب قرطاجة³⁴.

6.3. مشكلة وراثة العرش النوميدي:

ظهرت مشكلة وراثة العرش بعد حرمان "ماسينيسا" من عرش أجداده، فب وفاة "غايا" والد ماسينيسا حكم عمه "اوزلاسن" (Oezalacen)، وبعد وفاته خلفه ابنه "كابوسا" (Capussa) الأكبر سناً من "ماسينيسا"، وكان له ابن آخر مجرد صبي اسمه "لاكوماز" (Lacumez) ودبرت قرطاجة انقلاب بتدخل الأمير الماسيلي "مازيتول" (Mazaetulus) لتتصيب "لاكوماز" من الام القرطاجية (ابنة اخت "حنبل")، بدل "ماسينيسا" الأكبر سناً منه، ونظراً لصغر سن "لاكوماز" تزوج "مازيتول" من ارملة "اوزلاسن" ليكون وصي على العرش³⁵، وبذلك حرم ماسينيسا من عرش أجداده وهو الاحق به وفق التقليد المعروف في وراثة العرش، وعلى إثر ذلك توسع "سيفاكس" على حساب مملكة الماسيل باتفاق مع القرطاجيين³⁶.

7.3. تحول مواقف الملوك المحليين:

رأى "ماسينيسا" الذي كان ناقما على قرطاجة قرب هزيمتها في اسبانيا، وذلك كان بسقوط "قادس" التي عجز القائد "ماغون" أخ "حنبل" من صدّ هجمات الرومان عليها في عام 206 ق.م³⁷، وبلقاء "ماسينيسا" بقائد الجيش الروماني "سكيبو" في مدينة "طراقونا" واقتناعه بإمكانية الحصول على العرش بدون الخضوع للتقاليد التي كانت سارية المفعول قبل³⁸، وأشار "ماسينيسا" لـ "سكيبو" بنقل الحرب إلى شمال افريقيا خاصة وان "سكيبو" كان مقتنع أن لا يقع في غلطة "أغاتوكليس" ويؤمن الحليف الذي يساعده في منطقة هو اعلم بخباياها إذا ما نقل الحرب إلى شمال إفريقيا³⁹، ويذكر "تيت ليف" أن "ماسينيسا" تقرب من "سكيبو" وعرض خدماته

عليه ردا للجميل لأن "سكيبو" أطلق سراح "مسيوا" (Massiva) ابن عمه "ماسينيسا" الذي كان أسيراً⁴⁰.

وبالمقابل وقع "سيفاكس" اتفاقية تحالف مع قرطاجة وارسل في 204 ق.م إلى "سكيبو" الذي كان يعسكر في "سرقوسة" في صقلية بأنه إذا هاجم شمال افريقيا فهو وجيشه المازيسيلي سيحارب إلى جانب قرطاجة دفاعا على أراضي افريقيا⁴¹.

4. المغرب مسرحاً للأحداث:

كانت المدن النوميديّة تشكل مسرحاً للأحداث؛ فالجيوش الرومانية كانت تعسكر في بعض المدن وتحاصر البعض الآخر وجعلت مدنا أخرى ميدانا للمعارك مثل السهول الكبرى وزاما سأوردها في ما يلي:

1.4. شمال افريقيا وحملة "ريغولوس" و"مانيلوس":

جهّزت روما في خضم صراعها مع قرطاجة في المرحلة الأولى حملة لمحاصرة قرطاجة في عقر دارها بقيادة القنصلين "ريغولوس" و"مانيلوس"، وتجمعت السفن في رأس "هيرمس" (Hermès)⁴²، وتوجهت الى قرطاجة في 256 ق.م، وقد كبّدت هذه الحملة قرطاجة خسائر فادحة، حيث عاد القنصل "مانيلوس" محملاً بالغنائم⁴³، في حين بقي "ريغولوس" محاصراً المدينة بجيش يصل الى خمسة عشر ألف جندي⁴⁴، ولكن قرطاجة استطاعت فك الحصار في 255 ق.م بالاستعانة بمرتزق إسبرطي اسمه "كسانتيبوس" (Xanthippus)⁴⁵.

وقد تأثرت المنطقة بهذه الحملة فقد استغل السكان حملة "ريغولوس" كغطاء للدخول الى الاراضي القرطاجية⁴⁶، لذلك استغلت الفرصة بعد انتصارها على روما بقيادة "عزر بعل" و"قرتلون" في سنة 249 ق.م، وأخذت تتوسع على حساب الاراضي النوميديّة، وذلك كان عقابا لها لتعاونها مع "ريغولوس"⁴⁷.

ولكن قرطاجة خسرت الحرب الأولى ووقعت على هدنة مع روما في 241 ق.م، وتخلت على صقلية نهائيا والجزر الواقعة بينها وبين شبه جزيرة إيطاليا، ومنذ ذلك الوقت فقدت قرطاجة السيادة على المتوسط وأصبحت روما قوة جديدة في البحر الأبيض المتوسط⁴⁸.

2.4. نزول "سكيبو" في شمال أفريقيا:

نزل "سكيبو" في 204 ق.م بجيشه قرب "رأس الطيب" وأقام معسكره على الساحل، ثم استولى على المرتفعات المجاورة، ثم توجه بعد أيام نحو مدينة "أوتيكا"⁴⁹، واستقر على بعد ألف وخمسمائة متر من أسوارها الجنوبية الغربية⁵⁰.

وقد التحق "ماسينيسا" بجيش "سكيبو" ومعه ألفي فارس حسب "تيت ليف"⁵¹، كما سارعت قرطاجة لتجهيز جيش لمواجهة "سكيبو" بقيادة "صدر بعل"، وتم الاتصال بالملك "سيفاكس"⁵²، وحدث الاشتباك بين الطرفين "سلايكا" (Salaeca)⁵³ انتهى بتفوق الرومان⁵⁴ ومقتل القائد "حنون" والكثير من أتباعه، كما أسر حوالي ثمانمائة من العبيد والأحرار، فتمكن "سكيبو" من دخول "سلايكا" والمناطق المجاورة لها، وذلك بمساعدة "ماسينيسا" الذي قام باستدراج الخصم إليها⁵⁵، وترك بها حاميات رومانية كما حمل الغنائم على متن السفن ونقلها إلى "صقلية"⁵⁶.

بعد معركة "سلايكا" وحصار "أوتيكا" الذي كان برا وبحرا لمدة 40 يوما من قبل "سكيبو"، وبعد فك الحصار قرّر الهجوم على معسكر أعداءه، فخرج وجنوده في جنح الليل، وقاموا بإضرام النار في معسكر "صدر بعل" وحليفه "سيفاكس" بأمر من "كايس لابلوس" (Caius Laelius) وهلك غالبية الجنود والبقية ماتوا على يد "ماسينيسا" الذي تمركز مع جيشه خارج المعسكر⁵⁷، وعلى إثر ذلك تقلصت قوة "صدر بعل" و"سيفاكس"، ولم يبق من قوتهم إلا ألفين من المشاة وخمسمائة فارس⁵⁸.

ويظهر دور "ماسينيسا" والجنود النوميديين البارز منذ البداية في ترجيح الكفة لصالح روما، ويشير "بولبيوس" إلى الخدمات التي قدّمها "ماسينيسا" في وضع الترتيبات الأخيرة للخطة نظراً لأنه كان يعرف المنطقة الأفريقية التي كان الرومان يجهلون⁵⁹، ونظراً للانتصارات التي حقّقها "سكيبو" في الأراضي القرطاجية طلبت قرطاجة من "حنبل" العودة للدفاع عن المدينة، فنزل في صائفة 203 ق.م في مالطة ومنها توجه إلى "حضر موت"⁶⁰ ليعدّ للمعركة⁶¹.

3.4. معركة السهول الكبرى (203 ق.م) وتوحيد نوميديا:

انتَهَز "سيفاكس" الفرصة وهاجم ماسيليا وامتدّ بمملكته إلى غاية "قرطا" عاصمة الماسيل ووحّد المملكتين⁶²، ولذلك جمع "ماسينيسا" أنصار له وقضى على "لاكوماز" وهدد قرطاجة، التي كلفت "سيفاكس" لرد تلك الاعتداءات وهو بدوره كلف قائده "بوكار" (Bucar) بذلك، وانتصر بعد مباغتة لـ"ماسينيسا" حتى اعتقد بأنه قد مات ولكنه اختفى على الأنظار لتلتأم جراحه، وعاد واحتل المنطقة الواقعة بين عصابة وسيرتا وبدأ زحفه نحو الغرب، فاستعد له "سيفاكس" وابنه "فرمين" (Vermina) وانتصرا عليه وتراجع إلى السرت في ليبيا⁶³.

كانت المواجهة الموالية بين "ماسينيسا" و"سيفاكس" في معركة السهول الكبرى في منتصف أبريل 203ق.م، حيث كان النصر حليف "ماسينيسا"، ما جعل "سيفاكس" ينسحب من المواجهة ولكن "ماسينيسا" لاحقه لكي لا يجمع قواته من جديد، وهاجم مدينة قرطا عاصمة "سيفاكس" الشرقية وانهزم "سيفاكس" في معركة قيرطا في 23 جوان 203ق.م، ووقع أسيراً في يد "ماسينيسا"⁶⁴ الذي سلّمه لـ"سكيبو"⁶⁵، وبذلك خلا الجو لـ"ماسينيسا" واستطاع أن يجمع الأجزاء الضائعة من مملكته، وبعد أن فرّ "فرمين" الذي فشل في استرجاع مملكة أبيه احتل "ماسينيسا" كامل مازيسيليا إلى غاية نهر ملوية⁶⁶، ووحّد مملكة نوميديا في 203ق.م⁶⁷.

4.4. "ماسينيسا" ودوره في معركة "زاما"⁶⁸:

استدعت قرطاجة "حنبل" للدفاع عنها ونزل في "حضر موت" وبها أعدّ لمعركة "زاما" (19 أكتوبر 202ق.م)، وكانت المواجهة بين الطرفين وقد ساعد ماسينيسا في ترجيح الكفة لصالح روما بداية بالتخلص من الفيلة التي اعتمدها "حنبل" في المقدمة، فقد أشار ماسينيسا على "سكيبو" بإحداث فجوات واسعة بين صفوفها وبث الذعر فيها بقرع الطبول، ثم تنظيماً حركة النفاذ عندما ترجع على أعقابها وتشتت الجيش، بالمقابل يستغل "سكيبو" الفرصة ويهاجم "حنبل" وجيشه، ولذلك انهزم هذا الأخير وعلى إثر ذلك اضطرت قرطاجة إلى القبول بمعاودة زاما في 201ق.م⁶⁹.

وعلى اثر ذلك الانتصار جاءت معاهدة زاما بمجموعة من البنود التي غيرت الأوضاع بشكل كبير وأثرت على المغرب بطريقة غير مباشرة فقرطاجة التي كانت تمثل القوة الإقليمية في البحر الأبيض المتوسط قد كسرت شوكتها ويظهر ذلك في البنود التي منست بسيادة قرطاجة على أراضيها مثل البند الذي يقضي بأن لا تدخل في حرب دون موافقة روما، أما البند الذي استفاد منه ماسينيسا نظير مساعداته لروما فهو استرجاع أراضي أجداده من قرطاجة وهو البند الذي سيغير الخريطة الجيوسياسية للمغرب⁷⁰.

5.4. الحرب البونيقية الثالثة (149-146ق.م) وحصار قرطاجة:

استغل "ماسينيسا" البند الذي يقضي باسترجاع أراضي أجداده من قرطاجة وسعى للتوسع على حسابها، ونظرا لهذه التعديت المستمرة قررت قرطاجة في 150ق.م الرد على "ماسينيسا" وذلك اعتبرته روما خرقا لبند من بنود معاهدة زاما، وحدث جدل داخل مجلس الشيوخ الروماني ونجح "ماركوس بوركيوس كاتو" (Marcus Porcius Cato) (234-149ق.م) في اقناع اعضاء مجلس الشيوخ بإعلان الحرب على قرطاجة⁷¹، التي تجهزت للحرب دفاعاً على أراضيها وهو الأمر الذي تذرعت به روما للتدخل سنة 149ق.م، وهو أن قرطاجة أعلنت حرباً دون استشارة روما التي كانت تراقب أعمال "ماسينيسا" دون أن تحرك ساكناً، وبذلك باتت نوايا روما ظاهرة للعيان بحيث لم تكن تنتظر إلا سبباً مباشراً يمكّنها من بسط نفوذها على الأراضي الافريقية.

فأرسل الرومان حملة إلى افريقيا سنة 149ق.م بجيش يتألف من 80.000 من المشاة وما يقارب 4000 فارس، فأعلن القرطاجيون قبولهم التفاوض مع ما يترتب عليهم من شروط رومانية، غير أنهم سرعان ما تراجعوا عن ذلك بعد ان اشترطت عليهم روما الخروج من قرطاجة وبناء مدينة جديدة بعيدة عن البحر، فقرروا المواجهة وتحضروا لذلك في مدة قصيرة، لكن "سكيبو الايميلي" استولى على المدينة التي دمرها وأعلنها مقاطعة رومانية⁷²، فبات المغرب بعد سقوط قرطاجة التي

كانت تمثل حاجزا في وجه الرومان بابا مفتوح على مصرعيه للمطامع الرومانية، وكانت أول مرحلة من مراحل الاحتلال الروماني للمغرب.

5. تداعيات الصراع على المنطقة:

كان لكل مرحلة من الصراع نتائج مباشرة مثل ثورة المرتزقة وتمرد النوميديين واستغلال "ماسينييسا" لبند استرجاع اراضي أجداده من قرطاجة في ضم اغلب الاراضي القرطاجية، وغير مباشرة مثل سقوط قرطاجة ووقوع المغرب في يد روما على مراحل مثل سنورها فيما يلي:

1.5. تمرد النوميديون على قرطاجة:

انتهت الحرب البونيقية الأولى بهزيمة قرطاجة، ولكن تطورات الأحداث التي خلفتها خسائر قرطاجة في هذه الحرب وذلك زاد من ثقل الأمر عليها حيث ثاروا ضدها كما ثار عليها الليبيون في إفريقيا، وقد ردت قرطاجة بقوة على هذا التمرد الذي أطلق عليه البعض حرب لا مبرر لها (La Guerre Imexpiable) ورجّحت ان سببها تسيير سيئ للخزينة بعدما عجزت عن دفع رواتب الجند⁷³، وقامت بفرض ضرائب على السكان المحليين لتسديد ديونها بعد أن أبرمت معها روما معاهدة جديدة والتي وصلت إلى 32000 تالنت، وخسارتها لصقلية وسردينيا وكورسيكا، كما أن "هملكار" قام بعد قضائه على فلول الجنود المرتزقة وقتل قادتهم، عاقب كامل القرى والمدن الليبية والنوميديّة التي تعاونت معهم وقد اجتاح كامل المنطقة الشمالية حتى اقترب من سرتا وعاد محملا بالغنائم⁷⁴.

2.5. توسع "ماسينييسا" على أراضي قرطاجة:

انتقلت نوميديا بعد الحرب البونيقية الثانية من حليف لقرطاجة إلى عدو يسهر على مصالح روما في المنطقة، خاصة وان هذه الاخيرة قد منحت "ماسينييسا" حق استرجاع أملاك أجداده، فامتدت على إثر ذلك حدود مملكة نوميديا شرقا وشملت في 170 ق.م حوالي 70 مدينة كانت تحت سيطرة القرطاجيين، كما استولى على المدن الساحلية التجارية الواقعة على الساحل الشرقي بشمال وجنوب قابس والتي كانت تمثل عصب التجارة القرطاجية بين الصحراء الافريقية والمتوسط، وقد

كان "ماسينيسا" يهدف من خلال توسعه على حساب قرطاجة من بسط نفوذه عليها وتوحيد بلاد المغرب تحت قيادته، وعلى الرغم من أن "ماسينيسا" كان حليفا لروما إلا أنها كانت تعلم بما يترتب عن تلك المطامح الإقليمية من مخاطر على المصالح الرومانية المتنامية في إقليم البحر الأبيض المتوسط، فكان قرار تدمير قرطاجة يمثل حرمان "ماسينيسا" من أن تصل يده إلى قرطاجة وبالتالي قطع الطريق أمامه⁷⁵.

3.5. سقوط قرطاجة واحتلال المغرب:

حققت روما الكثير من الانتصارات على حساب قرطاجة، وأجبرت "حنبل" على العودة إلى إفريقيا لحماية قرطاجة، وانتهت الحرب البونيقية الثانية بمعاهدة قاسية انسحبت بموجبها قرطاجة من إيطاليا وإسبانيا وكورسيكا وسردينيا وصقلية وجنوب بلاد الغال، بالإضافة إلى أنها قامت بتسريح الأسرى وتسليم الأسطول والفيلة، والتزامها بعدم شن أية حرب خارجية دون مشورة روما⁷⁶.

وقد أتيحت الفرصة لروما التي وفرها حليفها "ماسينيسا" عندما استرجع بعض المدن والقرى النوميديّة التي كانت قد ضمتها قرطاجة، وكان تصدي هذه الأخيرة خرقا لمعاهدة "زاما"، فأعلنت روما الحرب عليها في 149 ق.م وانتهت في 146 ق.م بتدميرها، وقد حوّل "سكيبو الإيميلي" أراضيها إلى مقاطعة رومانية (Provincia Africa) وفصلها عن باقي الأراضي النوميديّة بالخنق الملكي، فكانت أولى مراحل الاحتلال التي جعلت روما تضع أقدامها في المغرب بعد أن قضت على سيدة البحر الأبيض المتوسط وحلت محلها⁷⁷.

6. الخاتمة:

مما سبق يمكن الإشارة إلى عدة نقاط تعلقت بنتائج وتداعيات الصراع القرطاجي الروماني على المغرب والنوميديين كجزء منه ندرجها فيما يأتي:

- ساهم النوميديون في الصراع القرطاجي الروماني كمجندين في الجيش على أشكال إما مرتزقة مقابل أجر أو كرعايا من الأراضي التابعة لقرطاجة أو كحلفاء بحكم عهود حسن الجوار التي عقدتها قرطاجة مع الملوك النوميديين.

- كانت مساهمة النوميديين في الصراع نتيجة التحالفات التي أبرمها سواء مع قرطاجة أو مع روما، وقد كانت لهم اسهامات كبيرة غيّرت موازين القوى مثل مساهمة ماسينيسا وفكرة نقل الحرب الى افريقيا، ومعركة السهول الكبرى التي ازاح على اثرها سيفاكس حليف قرطاجة وبالتالي رجحت كفة لصالح روما، واستراتيجيته في معركة زاما والتخلص من فيلة يمثلون دبابة الحرب في جيش حنبعل.

- تأثر المغرب بالحروب البونيقية حيث كانت اراضيه مسرحاً للأحداث فنزول الجيوش لمحاصرة قرطاجة والمدن القرطاجية كان يبدأ من الاراضي النوميديّة، كما كانت قرطاجة تزحف على الاراضي النوميديّة بعد خسارتها في الحرب مثل ما حدث في الحرب البونية الاولى، أو أن تفرض على المدن النوميديّة الخاضعة لها ضرائب باهضة، بالإضافة الى المدن التي شهدت معارك بين القرطاجيين والرومان مثل معركة زاما ومعركة السهول الكبرى...

- كان للحروب البونيقية تداعيات بعيدة المدى مثل الحرب البونيقية الثانية التي سمحت بنود استسلامها لماسينيسا باسترجاع اراضي اجداده فكاد ان يقضي على قرطاجة لولا ان قطعت الطريق عليه روما بإعلانها الحرب الثالثة التي قضت بموجبها على قرطاجة وبالتالي وضعت أرجلها بالمغرب وكانت بداية مرحلة جديدة على المنطقة سميت بفترة الاحتلال الروماني ورومنة المغرب.

المراجع:

¹ - ستيفان قزال، تاريخ شمال افريقيا القديم، تر: محمد التازي سعود، ج2، أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 2007، ص256.

² - Ouiza Ait Amara, Les Soldats d'Annibal, édition Maison Barnéoud, France, 2009, p13.

³ - ستيفان قزال، المرجع السابق، ص260، 261.

⁴ - نفسه، ص260.

⁵ - Ouiza Ait Amara, Op. Cite, p12, 13.

⁶ - ستيفان قزال، المرجع السابق، ص260، 261.

⁷ - اغاتوكليس (Agatocles): حاكم سرقوسة الاغريقية، نقل الحرب الى شمال افريقيا في 310 ق.م. أنظر: عبد المنعم المحجوب، ليبيا القديمة، دار الاتحاد للنشر والتوزيع، تونس، 2018، ص48.

⁸ - Diodore de Sicile, Bibliothèque Historique, trad: A. F. Miot, Paris, 1934, XX, 18.

⁹ - هملكار (Hamilcar): ولد سنة 275 ق.م، هو والد حنبعل وماغون وصدر بعل، تولى القيادة شابا سنة 247 ق.م، توفي غرقا في 228 ق.م في أحد الانهار في ايبيريا، بالإضافة إلى ابناءه من الذكور ترك ثلاث بنات: زوجة بوملقار والدة حنون بوملقار، والثانية زوجة صدر بعل العادل الذي تولى قيادة الجيوش بعده، والثالثة زوجة نارافاس حليفه النوميدي. أنظر: عبد المنعم المحجوب، المرجع السابق، ص374، 375.

¹⁰ - نارافاس (Naravas): قائد نوميدي ساعد هملكار في حرب المرتزقة تزوج من ابنته. أنظر: نفسه، ص357.

¹¹ - محمد البشير شنييتي، اضاء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص36، 37.

¹² - حنبعل (Hannibal): قائد قرطاجي من عائلة آل برقة والده هملكار القائد الذي لطالما حارب روما. أنظر:

Gilbert Charles Picard, Hannibal, Hachette, Paris, 1967, p13,14.

¹³ - مادلين هورس ميدان، تاريخ قرطاج، تر: ابراهيم بالش، منشورات عويدات، بيروت، 1981، ص80.

¹⁴ - محمد اسد الله صفا، هانيبال، دار النفائس، بيروت، 1987، ص39.

¹⁵ - ماتو (Matho): قائد نوميدي يمتاز بالشجاعة والجرأة كان أحد القادة في الجيش القرطاجي، قاد ثورة ضد قرطاج تزامنا مع ثورة الجند المرتزقة بعد الحرب البونيقية الأولى في 237 ق.م، استقطب الأهالي الريفيين وسكان المدن النوميدي فاضلا عن الجنود المتمردين، وجمع التبرعات حتى من النساء، وجمع حوالي 70000 مقاتل. أنظر: محمد البشير شنييتي، دراسات في التاريخ والاثار القديمة بالجزائر وبلاد المغرب، كنوز المعرفة، الجزائر، 2018، ص153.

¹⁶ - محمد العربي عقون، "من تداعيات الحرب البونية الأولى على قرطاج ثورة جندها المأجور (241- 237 ق.م)"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 21، جوان 2004، ص201.

- ¹⁷ - محمد البشير شنييتي، (اضواء...)، المرجع السابق، ص 36، 37.
- ¹⁸ - Polybe, Histoire romaine, trad: Denis Roussel, éd. Gallimard, bibliothèque de la Pléiade, Paris, 1970, I, 2, 78.
- ¹⁹ - محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 204، 205.
- ²⁰ - محمد البشير شنييتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق.م/ 40م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ت)، ص ص 22-24.
- ²¹ - ستيفان قزال، المرجع السابق، ص 167.
- ²² - ماسينيسا (Massinissa): ولد سنة 238 ق.م، وتوفي في سنة 148 ق.م، كان زعيما لقبيلة الماسيل كانت عاصمة مملكته سرتا (قسنطينة حاليا)، كان طموحا حالف الرومان وساهم في انتصارهم على قرطاجة. أنظر: عبد المنعم محجوب، المرجع السابق، ص 327، 328.
- ²³ - خاض "حنبل" مع ابيه "هملكار" حروبا في اسبانيا لمدة سبع سنوات ولكن بوفاة والده وصهره "صدر بل" تولى حنبل قيادة الجيوش مع أخيه "صدر بل"، وكانت له منجزات في إسبانيا وإيطاليا. أنظر:
- P. F.de Callonne et Amédée Pommier, Les Vies de Cornelius Nepos, C. L. F. Panckoucke, Paris, II, 471.
- ²⁴ - محمد البشير شنييتي، (الاحتلال...)، المرجع السابق، ص 23.
- ²⁵ - سكيبيو الافريقي (Publius Cornelius Scipion Africanus) (235-183 ق.م)، سمي بالافريقي نسبة إلى حروبه في افريقيا، كان أبوه قائدا حريبا من الاشراف، اتهم بالفساد فغادر روما الى منطقة ريفية في كمبانيا اين قضى بقية عمره توفي عن عمر 52 سنة. أنظر: محمد العربي عقون، "ماسينيسا من استعادة حقها في العرش الماسيلي إلى بناء الوحدة النوميديّة 238-148 ق.م"، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، العدد 22، جوان 2010، ص 94.
- ²⁶ - ذهبية سي الهادي، الممالك النوميديّة بين قرطاجة وروما من نهاية القرن الثالث ق.م الى القرن الأول ق.م (دراسة سياسية وعسكرية)، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2012/2013، ص 41.
- ²⁷ - سيفاكس (Syphax): ملك نوميدي من قبائل المازيسيل، أصبح حليف روما 213 ق.م، وبعدها أصبح حليف قرطاجة إلى غاية نهاية الحرب البونية الثانية، كان عدو ماسينيسا واب

فرمينا الذي تولى القيادة بعده وحالف قرطاجة بعد هزيمة ابيه في معركة السهول الكبرى (203ق.م)، توفي في السجن في ايطاليا. أنظر:

Ouiza Ait Amara, Op. Cite, p76.

²⁸- محمد البشير شنييتي، (الاحتلال...)، المرجع السابق، ص 22-24.

²⁹- بلعيد حسن، حنبعل والحرب البونية الثانية (218-201ق.م)، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2012 / 2013، ص76.

³⁰- Francois Decret et Mohamed Fantar, L'Afrique du Nord dans L'Antiquité des Origines au V^e Siècle, Payot, Paris, 1981, p90.

³¹- صدر بل بن جيسكون: لقب بالأصلع وهو قائد قرطاجي كان منافسا لأسرة بركة، حليف سيفاكس ملك نوميديا وصهره، حارب الرومان هزمه سكيبيو في اوتيكا فأدانته مجلس الشيوخ في قرطاجة. أنظر: عبد المنعم المحجوب، المرجع السابق، ص40.

³²- محمد البشير شنييتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، دار الهدى، الجزائر، 2013، ص180.

³³- محمد البشير شنييتي، (الجزائر...)، المرجع السابق، ص88، 89.

³⁴- Tite Live, Histoire Romaine, Tome Onzième, Livre XXVI- XXIX, Trad: N. A. DUBOIS, Imprimerie C.L.F PANCKOUCKE, Paris, 1834, XXIII, p p415- 417.

³⁵- Ibid, XXIX, pp433- 437.

³⁶- محمد الصغير غانم، المملكة النوميديّة والحضارة البونية، دار الهدى، الجزائر، 2006، ص57.

³⁷- محمد البشير شنييتي، (الجزائر...)، المرجع السابق، ص 178.

³⁸- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص57.

³⁹- Francois Decret et Mohamed Fantar, Op. Cit, p103.

⁴⁰- محمد الهادي حارش، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش الى وفاة يوبا الأول 203-46 ق.م، دار هومة، الجزائر، 2014، ص16.

⁴¹- Tite Live, Loc. cite, XXIII, p417.

⁴²-Polybe, Loc. Cite, I, 29.

⁴³-محمد البشير شنييتي، (أضواء...)، المرجع السابق، ص 171-173.

⁴⁴- Yanne le BOHEC, Histoire Militaire des Guerres Puniques 264- 146 Av J.C, Rocher Edition, Monaco, 2010, p87.

- ⁴⁵ - محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الاسلامي، دار هومة، الجزائر، 2014، ص51.
- ⁴⁶ - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص36.
- ⁴⁷ - محمد الهادي حارش، (التاريخ المغاربي...)، المرجع السابق، ص51.
- ⁴⁸ - Yanne le BOHEC, op. cite, p105.
- ⁴⁹ - أوتيكا (Utique): من أقدم المستوطنات الفينيقية تأسست في 1101 ق.م في السهول وسط شمال تونس، تقع على مصب نهر مجردة. أنظر: عبد المنعم المحجوب، المرجع السابق، ص24.
- ⁵⁰ - اصطيافان أكصيل، المرجع السابق، ص ص187- 190.
- ⁵¹ - Tite Live, Loc. Cite, XXIX, p437.
- ⁵² - حسن بلعيد، المرجع السابق، ص98.
- ⁵³ - سلايكا (Salaeca): ربما هي مدينة لوشا (Locha) التي أشار إليها ابيانوس، وهي تقع على بعد 23 كم غربي أوتيكا. أنظر: ذهبية سي الهادي، المرجع السابق، ص86.
- ⁵⁴ - Tite Live, Loc. Cite, XXXIV, pp453- 455.
- ⁵⁵ - ذهبية سي الهادي، المرجع السابق، ص86.
- ⁵⁶ - Tite Live, Loc. Cite, XXXIV, p455.
- ⁵⁷ - Polybe, Livre XIV, 4, 7-10.
- ⁵⁸ - Ibid, 6, 3.
- ⁵⁹ - Ibid, 2, 3.
- ⁶⁰ - حضرموت (Hadromite): هي نفسها سوسة واسمها الاغريقي ابولونيا، تأسست لتكون ميناء لمدينة قورينة، ثم استقلت عن مدينة قورينة وازدهرت في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد. أنظر: عبد المنعم المحجوب، المرجع السابق، ص20.
- ⁶¹ - محمد الهادي حارش، (التاريخ المغاربي...)، المرجع السابق، ص58.
- ⁶² - أحمد حسين السليمان، تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة، ط2، دار القصة، الجزائر، 2017، ص88، 89.
- ⁶³ - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص50.
- ⁶⁴ - محمد الهادي حارش، (التطور...)، المرجع السابق، ص20.
- ⁶⁵ - André Berthier, La Numidie Rome et le Maghreb, Picard, Paris, 1981, p41, 42.
- ⁶⁶ - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص63، 64.

⁶⁷ - Francois Decret et Mohamed Fantar, Op. Cit, p105.

⁶⁸ - زاما (Zama): تقع جنوب قرطاج (سيدي يوسف الحالية)، على نهر مجردة. أنظر: عبد المنعم محجوب، المرجع السابق، ص185.

⁶⁹ - أحمد حسين السليمانى، المرجع السابق، ص107.

⁷⁰ - للمزيد حول بنود معاهدة زاما أنظر: Polybe, Loc. cite, II, XV, 18

⁷¹ - أبو بكر سرحان، "الحروب البونيقية بين روما وقرطاجة (264-146 ق.م) اسبابها- أحداثها- نتائجها وموقف الممالك الاهلية المغربية منها"، مجلة الدراسات الافريقية، العدد 35، 2013، ص112.

⁷² - محمد الهادي حارش، (التاريخ المغاربي...)، المرجع السابق، ص58، 59.

⁷³ - Yanne le BOHEC, Op. Cite, p107, 108.

⁷⁴ - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص36، 37.

⁷⁵ - محمد البشير شنييتي، (الجزائر...)، المرجع السابق، ص182-187.

⁷⁶ - محمد الهادي حارش، (التطور السياسي...)، المرجع السابق، ص29، 30.

⁷⁷ - محمد البشير شنييتي، (نوميديا...)، المرجع السابق، ص20-24.